أضواء جديدة على شواهد القبور الإسلامية ببلاد النوبة السفلى خلال القرن الثالث الهجري

إعداد

إسراء عبد الحافظ أحمد عبد الحافظ

أضواء جديدة علي شواهد القبور الاسلامية ببلاد النوبة السفلى خلال القرن الثالث الهجري

إسراء عبد الحافظ أحمد عبد الحافظ[١]

ملخص البحث:

يتناول البحث أضواء جديدة علي شواهد القبور الاسلامية ببلاد النوبة السفلى خلال القرن الثالث الهجري، وذلك بدراستها دراسة تحليلية حسب ترتيبها الزمنى، من الأقدم إلي الأحدث وذلك من خلال توضيح أشكالها ونوعية الخامات المستخدمة فى صناعتها وطُرق الحفر عليها وتواريخها، ويعتد البحث علي مجموعة من شواهد القبور العربية الإسلامية التي تم العثور عليها فى بلاد النوبة خلال حملات المسح والحفائر التى تمت فى فترات مختلف. وهى مجموعة شواهد قبور قيمة التي لم يتم دراسة معظمها من قبل. وتكمن أهمية البحث أيضاً في كونه واحداً من الأعمال التي تتناول دراسة الكتابة الكوفية دراسة منهجية تعتمد على وصف المادة المكتوبة وتحليلها، والتعليق عليها بطريقة علمية مما يجعله دون شك ذو فائدة للمتهمين بدراسة ونشر الكتابات العربية ولاسيما من الناحية المنهجية.

Abstract:

The research deals with new lights on Islamic tombstones in Lower Nubia during the 3rd century AH, by studying an analytical study chrono- real in order, from the oldest to the most recent, by clarifying their forms and the quality of the materials used in their manufacture and the methods of excavation and their dates, and the search is based on a group of Arab-Islamic tombstones found in Nubia during survey and excavation campaigns carried out at different periods. It is a collection of valuable tombstones, most of which have not been studied before. The importance of the research also lies in the fact that it is one of the works dealing with the study of Kufic writing systematically based on the description and analysis of the written material, and commenting on it in a scientific way, which undoubtedly makes it useful for the accused to study and publish Arabic writings, especially from a methodological point of view.

[١] باحثة في مجال التاريخ والحضارة الإسلامية في أفريقيا.

مقدمة

شواهد القبور الاسلامية ببلاد النوبة المسيحية هي عبارة عن الواح حجرية متعددة الاشكال و الاحجام و الانواع كانت توضع علي رأس المقبرة او حولها او في ما يصنع لها من اسوار للدلالة علي من دفن فيها او الاشارة الي من قبر في اللحد، ولكن للأسف الشديد ليس لدينا وصف لأشكال المقابر الاسلامية في بلاد النوبة و يرجع ذلك الي عدم اهتمام البعثات الاثرية التي عملت في بلاد النوبة الشمالية بكل ما هو له صلة بالاسلام و المسلمين في بلاد النوبة، كما اننا قد فقدنا هذه الجبانات تماما حيث انها الان تقبع تحت مياه بحيرة السد العالي، و هذا مما يدفع الي الاهتمام بهذه الشواهد الاسلامية من بلاد النوبة لأنها الادلة المادية الاثرية الفريدة و الوحيدة الموثقة بما عليها من معلومات و تواريخ عن التواجد العربي الاسلامي علي ارض النوبة المسيحية، وان كانت البعثات قد اكتشفت العديد من المصنوعات الاسلامية من الفخار و الخزف و المعادن و غيرها الا ان الباحثين و العاملين في حقل الحفائر في بلاد النوبة اعتبروا ان هذه المواد كانت نتيجة اعمال التبادل التجاري بين الجانبين و لم يعتبرها ادلة تواجد للمسلمين العرب في بلاد النوبة المسيحية.

اولاً:- اهمية دراسة شواهد القبور الاسلامية:

ان مصادر دراسة الخط العربى تنحدر من اصلين : الاصل الاول النظرى وهى الكتابات التى دونها المؤرخون عن الخط العربى وتاريخه وتطوره واشكاله وقد جاء فى ذلك نصوص كثيرة وكانت كثيرا ما تعتمد على الافترضات والاجتهدات والاراء المتوارثة وان كان اكثرها صحيحا فان فيه ما لا يقبله العقل .

الاصل الثانى وهو الاهم والاوثق وهى الاصول المادية الاثرية التى دونها المسلمون على الحجر والمعادن والنسيج والرق والبردى، من نقوش ورسائل ووصايا وتواريخ ومعاهدات وصكوك وغيرها.

واذا كان تاريخ الخط لا يعرف الا من خلال نماذجه المادية فان صور الخط وانواعه ورسومه لا تعرف الا بالنماذج فمهما وصف الخط الكوفى نظريا فان هذا الوصف لايجدى ان لم يكن معه نموذج من صورة على حجر او رق او نسيج ،

ولا شك ان درسة النماذج الخطية تعين على معرفة تاريخ الخط واصله وتطوره اكثر من النصوص النظرية التى لا تستند الا على الراى والنقل وكل راى له راى اخر يخالفه ويضاده، والنقل عرضة للوهم والخطا والزيادة والنقص، ولذلك لابد فى الدراسة العلمية من الرجوع الى المصدرين مع اعتبار الاصول المادية هى الاصل الاول والاوثق. وعلى الباحث الحريص الا يهمل عنصرا من عناصر البحث فبالاضافة الى المصادر النظرية كالرسائل التى الفت عن الخط العربى خلال العصور والكتب التى الفت عن الخط او افردت له فصولا خاصة نرى ان ينصب الاهتمام على كل ما تركه الاسلام من نماذج مكتوبة ويتمثل ذلك فى :

- الكتابات التى وجدت على المبانى والنصب والجدران وشواهد القبور والاضرحة والمنابر ومنها ما كتب على الحجر او الجص او الخشب.
- الكتابات على البردى.
- المصاحف القديمة على اختلاف عصورها.
- الكتابات التى ظهرت على المسكوكات.
- الكتابات على الاثار المنقولة كالاوانى الفخارية والحلى والموازين والزجاج والاخشاب والمعادن وغيرها.
- الكتابات على الاقمشة والطرز.
- الكتابات على الالات العلمية القديمة كالاسطرلاب.

وقد انتشر الخط العربى حيث انتشر المسلمون بلغتهم العربية فى بيئات كثيرة وممتدة من الجزيرة العربية فالشام والعراق وبلاد فارس وخرسان وماوراء النهر والسند وارمينية والقوقاز واسيا الصغرى ومصر وشمال غرب افريقيا والسودان وبلاد الاندلس وصقلية وجنوب فرنسا ، ومن البديهى ان يتخذ الخط العربى فى كل بيئة من هذه البيئات طابعا متميزا ويصطبغ بالاثر المحلى مع ملاحظة الاثر الشخصى لكل خطاط مسلم وما لكل منهم من شخصية تعكس ذوقه الفنى ومهارته واثر البيئة فيه.

ولما كانت شواهد القبور هى احد الوثائق الاثرية الهامة المدونة بالخط العربى مما دفع الباحثة الى تناول مجموعة من شواهد القبور الاسلامية بالدرسة والتمحيص ،

و تتجلى قيمة شواهد القبور فى كونها وثائق اصلية وسجلات ثابتة لاحداث مسجلة تشكل معلومات تاريخية تتخطى كونها مجرد تسجيل للوفاة او الدفن الى استجلاء احداث تاريخية لاشخاص كان لهم دور بارز فى المجتمع غفلت عن ذكره مصادر التاريخ التى كان شغلها الشاغل هو تدوين احداث البلاط الحاكم واصحاب المقامات الرفيعة وكذا اغفلت ذكرهم كتب التراجم . كما تعود اهمية شواهد القبور فى دراسة الادب واسلوب الخط العربى والتطور المتتابع تاريخيا ، كما ان الزخارف والنقوش الهندسية والنباتية سواء كانت متصلة بالكتابة او منفصلة عنها يمكن دراسة تطورها التاريخى ، كما انها تعد سجلا حافلا بالاحداث التاريخية والحياة السياسية والمكانة الاجتماعية والقوة الاقتصادية والنصوص التذكارية والعبارات الدعائية والالقاب الفخرية والانساب العائلية (١).

وقد كتبت هذه الشواهد بالخط الكوفى وقد داب العرب على تسمية الخطوط باسماء المدن التى وردت منها فقد سمى عرب الحجاز الخطوط التى جاءتهم من بلاد النبط والحيرة والانبار بالخط النبطى والحيرى والانبارى، فكذلك عرف الخط الكوفى نسبة الى مدينة الكوفة فى العراق لانها انتشر منها هذا الخط الى انحاء مختلفة من العالم الاسلامى وقد تم ذلك فى عصر ازدهار الكوفة وتميزها بعلوم النحو واللغة والشعر والادب وعلوم الشريعة الاسلامية . وكان للكوفة نوعان اساسيان من الخط ، الكوفى اليابس ثقيل صعب الانجاز تؤدى به الاغراض الجليلة ، وكان يسمى بالتذكارى الذى استخدم فى التسجيل على المواد الصلبة كالاحجار والاخشاب لاثبات الايات القراءنية والادعية وتاريخ الوفاة ويتميز هذا الخط بالجمال والزخرفة وخلوه من التنقيط وترابط الاحرف، ونوع اخر لين وهو الخط الذى انتهى الى الكوفة من المدينة وكانت تؤدى به المكاتبات والتدوين والتأليف، وقد نشا من الخط الكوفى انواع فنية وزخرفية منها الخط الكوفى البسيط وهو النوع الذى لا يلحقه التوريق او تجميل او تضفير ومادته كتابية بحتة وقد

(١) سمر نجار محمد على : دراسة لمجموعة شواهد قبور عثمانية بمدينة الجزائر : دراسة فى المضمون، جامعة عين شمس ، المؤتمر الدولى السادس، مج٣، ٢٠١٥، ص ٩٩.

شاع فى العالم الاسلامى فى القرون الاولى للهجرة وظل الاسلوب المفضل فى غرب العالم الاسلامى ومن اشهر امثلته كتابات قبة الصخرة، كما ان هناك الكوفى ذو الارضية النباتية والكوفى المورق والكوفى المظفر والكوفي الهندسي الاشكال.(١)

وليس هناك شك فى انه من الامكان الافادة من شواهد القبور كمصدر تاريخى فالشواهد القبور دور مباشر فى دراسات تاريخية معينة مثل دراسة تطور الخط العربى والزخرفة الاسلامية لاسيما وان كثير من شواهد القبور مؤرخة وبعضها يشمل اسماء كتابها(٢)، ودراسة الاحجار المستخدمة فى عمل الشواهد قد تساعد فى التعرف على المحاجر التى كانت تقطع منها الاحجار فى العصور المختلفة ، كما ان الشواهد قد تمدنا بمعلومات وحقائق تلقى الضوء على جوانب مختلفة فى التاريخ الاسلامى فقد فطن بعض المؤرخين المسلمين القدمى الى دور الكتابات الاثرية بما فى ذلك الشواهد فاعتمدوا عليها فى احيان كثيرة(٣).

وقد تمدنا بعض الشواهد باسماء مشاهير قد يفيد دورها فى تحقيق صحتها وسلسلة نسبها واضافة معلومات مؤكدة عن بعض جوانب فى حياتها وتاريخ وفاتها ، كما تقدم لنا شواهد القبور ثروة ضخمة من اسماء عامة الناس الذين يندر ذكرهم فى المؤلفات الادبية والتاريخية وكتب التراجم وقد تلقى هذه الاسماء بعض الضوء على التنقلات والهجرات لبعض افراد القبائل العربية وبعض النواحى اللغوية كما يمكن ان تكون الاسماء مصحوبة بالوظائف او الحرف او المذاهب مما يفيد فى دراسات تاريخية متنوعة فى المجالات الدينية والاجتماعية والنظم وتحقيق بعض الروابط الاسرية بين اصحاب الشواهد كما يفيد الشاهد فى دراسة المراسيم بما

---

(١) يحيى وهيب الجبورى: الخط والكتابة فى الحضارة العربية، دار الغرب الاسلامى ١٩٩٤، ص ١٢٠-١٢١.

(٢) حسن الباشا : موسوعة العمارة والاثار والفنون الاسلامية ، مج ٣ ، ط١، بيروت ١٩٩٩، ص ١٩١.

(٣) حسن الباشا : موسوعة العمارة والاثار والفنون الاسلامية ، مج ٣ ، ط١، بيروت ١٩٩٩، ص ١٩١.

تشتمل عليه من القاب وادعية ويمكن ان يستنبط من بعضها معلومات عن نظم الحكم والسياسة والمعتقدات والادب من فنون النثر والشعر (١)، كما ان الافادة من شواهد القبور وما تحوى من معلومات مختلفة ربما تبدو ضئيلة فى حد ذاتها غير انها تصبح ذات قيمة كبيرة عند مقارنتها بالمعلومات المستمدة من المصادر الاخرى حيث انها يمكن ان تضيف حقائق جديدة او تصحح اخطاء شائعة او ترجح بعض الاراء على غيرها، كما ان نشر الكتابات الجنائزية على شواهد القبور الاسلامية لن تتحقق الفائدة منها على الوجه المرض الا بنشر الاعداد الهائلة من الشواهد التى تزخر بها المتاحف والمخازن الاثرية فى مختلف انحاء العالم الاسلامى ومقارنتها بالمصادر الاخرى من وثائق ومخطوطات ومسكوكات واثار ومؤلفات ادبية وتاريخية مختلفة(٢).

ومن المهم الاشارة الى ان صناعة شواهد القبور كان يشارك فيها عديد من الحرفيين، كشقاق "الفرش" الذى يتولى شق وقطع الحجر الذى تصنع منه الشواهد الى الواح، والنقار الذى يتولى نقر وصقل الشاهد، والنقاش، الذى ينقش الزخارف والكتابات على الشواهد، وقد يكون نقاشا لا يعرف القراءة والكتابة ولكنه يحفر النقش اعتمادا على الرسم الذى يقوم الخطاط برسمه على الشاهد فهو ينقش ما يرسم له، كما يسمى النقاش بالحفار احيانا لان عمله يقوم على اساس حفر النقوش الكتابية والزخرفية وغيرها حفرا غائرا او بارزا على سطح الشواهد ، وقد كانت صناعة شواهد القبور من الحرف المتوارثة ويدل على ذلك بعض توقيعات نقاشى شواهد القبور على الشواهد التى نقشوها(٣). وتمثل شواهد القبور الحجرية ثروة هائلة من النقوش الكتابية ، وقد بدات كتابة شواهد القبور منذ عهد الرسول صلى

---

(١)حسن الباشا: موسوعة العمارة والاثار والفنون الاسلامية ، مج ٣ ، ط١، بيروت ١٩٩٩، ص ١٩٠.

(٢)حسن الباشا : مرجع سابق، ص ١٩١.

(٣) محمد عبدالستار عثمان: "اضواء جديدة على الكتابة فى الاثار الاسلامية "طرق تنفيذها واساليب تشكيلها " ، مجلة مقاليد، مجلة فصلية ثقافية تصدر عن الملحقية الثقافية السعودية فى فرنسا ، العدد ٦، سبتمبر ٢٠١٣، ص ٢٠٢.

الله عليه وسلم ، وقد كانت تكتب شواهد القبور فى بداية الامر بطريقة غير متقنة ولكن سرعان ما تطورت صناعة شواهد القبور واصبحت تكتب بطرق اكثر تنظيما بعد تكامل فريق العمل الذى كان يعمل فى هذه الصناعة بعد ان مر الخط العربى بمراحل تطور وتجويد متتابعة(١)

وتعد الكتابات الإسلامية على شواهد القبور من الحقول المهمة في الدراسات التأريخية والأثرية فهي تحمل كثيراً من الحقائق المتعلقة بتأريخ الوفيات، وألقاب المتوفين ونسبهم ، ومناصبهم ، فضلاً عن قيمتها الجمالية ، وأهميتها في دراسة تطور علم الكتابات العربية(٢).

وكان العلماء الغربيون أول من أهتم بدراسة هذا الحقل منذ حوالي قرنين من الزمان، حيث عملوا على استنساخ الكتابات العربية الإسلامية وتصويرها، ومن ثم دراستها دراسة منهجية أوصلتهم إلى كثير من الحقائق العلمية المتعلقة بأشكال الحروف، وتطورها، والأساليب الزخرفية التي استخدمت في تجميل الحرف العربي وتنميقه(٣)، ثم ظهرت بعد ذلك بعض المحاولات من قبل الكُتَّاب العرب(٤)، وأصبحت مادة الكتابات علماً يدرس في الجامعات ومع ذلك فلا تزال المكتبات العربية تفتقر إلى المزيد من الأعمال التي تعالج هذا الموضوع معالجة منهجية ، وتلبي بالتالي حاجة طلاب هذه المادة عند الرجوع إليها.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٢) حسن الباشا :مرجع سابق ، ص ١٩٠.

(3) Max Van Berchem, Matériaux pour un corpus inscripitionum Arabicanum, première partie. Égypte Fascicule premier, MIFAO, t. XIX, Paris, 1894, (Mémoires de institut français d'Archéologie Orientale), E. Combe, I. Sauvage et G. Wiet, Répertoire Chronologique d'Epigraphic Arabe, Stèles funéraires (Catalogue générale du Musee Arabe).

(4) Hassan Mohammed El-Hawary, "The Second Oldest Islamic Monument Known, Dated A.H. 71(A.D. 691). From the Time of the Omayyad Calif 'Abd-el-Malik ibn Marwan," Journal of the Royal Asiatic Society (JRAS) 1932 (no. 2), 289–93.

Abd Ar-Rahman M. Abd Al-Tawab, Stèles Islamiques de la Nécropole d'Assouan, 3tomes, Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire 1977, 1982, 1986.

ويرتكز هذا البحث على مجموعة من شواهد القبور العربية الإسلامية التي تم العثور عليها فى بلاد النوبة خلال حملات المسح والحفائر التى تمت فى فترات مختلف. وهى مجموعة شواهد قبور قيمة التي لم يتم دراسة معظمها من قبل. وتكمن أهمية البحث أيضاً في كونه واحداً من الأعمال التي تتناول دراسة الكتابة الكوفية دراسة منهجية تعتمد على وصف المادة المكتوبة وتحليلها، والتعليق عليها بطريقة علمية مما يجعله دون شك ذو فائدة للمتهمين بدراسة ونشر الكتابات العربية ولاسيما من الناحية المنهجية.

ويشمل هذا العمل محاولة التحقق من صحة قراء النصوص العربية التي تحويها هذه الشواهد من خلال استخدام التقنيات الحديثة فى قراة الشواهد، ومحاولة الوصول الى نتائج يمكن ان تساعد فى تفنيد الاراء حول وجود عرب مسلمين ببلاد النوبة ام انهم نوبيين اعتنقوا الديانة الاسلامية فى هذه الفترات المبكرة وفى ظل الوجود المسيحى الدينى والسياسى المهيمن على بلاد النوبة قبل وصول العرب الى مصر بحوالى اكثر من قرن من الزمان .

حيث ان شواهد القبور الاسلامية فى النوبة المسيحية يمكن ان تفسر على انها تشهد على ازدياد اعداد العرب المسلمين الذين دخلوا الى بلاد النوبة واقاموا فيها ، الا ان هذا الراى له معارضيه استنادا إلى معاهدت البقط التى عقدت بين المسلمين وملوك النوبة فى القرن السابع الميلادى وتم تجديدها سنة ٨٣٦م. بعد المباحثات فى بغداد بين ابن ملك النوبة والخليفة المعتصم العباسى استمرت طبقا لاحد بنودها بمنع اى مسلم ان يقيم فى النوبة ويذكر النص " والعرب الذين يدخلون بلادكم مجتازين غير مقيمين "(١)

ولكن هناك من يرى ان هذه الشواهد مرتبطة بهجرات المسلمين الى النوبة من مصر، وهذا يمكن ان يكون قد اتخذ كدليل لتفسير شواهد القبور على انها تشير إلى اقامة هؤلاء المهاجرين فى بلاد النوبة المسيحية، حيث يخبرنا ابن سليم

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،ج١ طبعة بولاق ١٢٧٠هـ، ص١٩٠-٢٠٠.

الاسوانى فى القرن العاشر الميلادى " ان المنطقة بين بلدة القصر (بالقرب من اسوان) والجندل الثانى فى النوبة كان للمسلمون حرية الدخول وكثيرا منهم اقام بها "(١) وكان لأهل أسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخله بأرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وتم شرائها من النوبيين في صدر الإسلام في عهد بني أمية وبني العباس(٢) هذه الجماعات العربية فى النوبة عاشت فى سلام مع جيرانهم المسيحيين خلال معظم فترات ازدهار المسيحية ويبدو ذلك من خلال وجود الصفقات التجارية ومن خلال النقوش المسيحية التى كانت تؤرخ بتواريخ مزدوجة باستخدام التاريخ المسيحى والعربى(٣).

وقد عثرت البعثات التى عملت بالحفائر فى المواقع الاثرية ببلاد النوبة خلال الحملة الدولية لانقاذ اثار النوبة على العديد من الملتقطات الاثرية والمبانى الجنائزية الاسلامية فى العديد من المواقع.

المقابر الاسلامية فى منطقة جبل عدا:

هى عبارة عن قباب علوية مشيدة من الطوب اللبن على قبوات سفلية من اللبن ايضا وكانت معدة للدفن، ومن خلال العديد من المصادر العربية القديمة يمكن معرفة ان مملكة النوبة كانت مقسمة الى ثلاث مقاطعات تحكم بواسطة زعماء مستقلين وكانوا خاضعين للملك، وكانت مقاطعة المريس تمتد من بلدة القصر جنوب فيلة بحوالى ميل على الحدود الشمالية للنوبة، حيث يذكر ابن سليم الاسوانى " اول بلد النوبة قرية تعرف بالقصر من اسوان اليها خمسة اميال واخر حصن للمسلمين جزيرة تعرف ببلاق بينها وبين قرية النوبة ميل وهوساحل بلد النوبة ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل كثيرة فى البحر لا تسلكها المراكب الا بالحيلة، وبهذه القرية (يقصد القصر) مسلحة وباب الى بلد النوبة ومنها الى

---

(١) المقريزي: الخطط، ج١ ،طبعة بولاق، ص١٩٨؛ وكذا المسعودي مروج الذهب ج٣ طبعة باريس ١٨٦١-١٨٧٧،ص٣٩-٤٠.

(٢) المقريزي: الخطط، ج١ ،طبعة بولاق، ص١٩٨؛ وكذا المسعودي مروج الذهب ج٣ طبعة باريس ١٨٦١-١٨٧٧،ص٣٩-٤٠.

(3) Save-Soderbergh, T., Late Nubian cemeteries, SJE Vol. 6, Sweden 1982, p. 52-53.

الجنادل الاولى من بلد النوبة عشر مراحل وهى الناحية التى يتصرف فيها المسلمون ولهم فيها قرب املاك ويتاجرون في اعلاها وفيها جماعة من المسلمين قاطنون لا يفصح احدهم بالعربية وهى ناحية ضيقة شظفة كثيرة الجنادل وما تخرج عن النيل وقراها متسطرة على شاطئه وفى هذه الناحية بجراش مدينة المريس وقلعة ابريم وقلعة اخرى دونها وبها ميناء يعرف بادواء ولهذه الناحية وال من قبل عظيم النوبة يعرف بصاحب الجبل وهو من اجل ولاتهم لقربه من ارض الاسلام ومن يخرج الى بلد النوبة من المسلمين فمعاملته معه فى تجارة او هدية اليه او الى مولاه يقبل الجميع ويكافىء عليه بالرقيق ولا يطلق لاحد الصعود الى مولاه لا مسلم ولا لغيره"(١)، وتنتهى فى الجندل الثانى وكانت تقع فيها منطقة الدودكاشينوس التى كانت اداريا امتداد لمصر العليا تحت السيادة الرومانية المبكرة، وكان يوجد فى هذه المقاطعة مسلمين مصريين لهم املاك خاصة ولهم حرية كاملة فى نهاية الجزء الشمالى من المنطقة وكان التجار المسلمون يتاجرون فى هذه المنطقة بحرية وبعضهم كان يعيش هناك وكان هؤلاء الناس يتحدثون اللغة العربية الضعيفة ويمكن افتراض انهم نوبيين اعتنقوا الديانة الاسلامية مبكرا، وكانت اهم المدن فى هذه المقاطعة هى فرس (باخوراس) العاصمة للمريس ، وحصون ابريم ، وجزء من جبل عدا(٢). كما اكدت الابحاث الاثرية على وجود جاليات اسلامية فى خور نبت الواقع على مسافة ٧٠ ميلا الى الغرب من سواكن حيث تم العثور على مجموعة من شواهد القبور الاسلامية يعود تاريخها الى منتصف القرن الثامن الميلادى(٣)، بالاضافة إلى مجموعة شواهد القبور الاسلامية فى النوبة السفلى التى تعود تواريخها ما بين سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م.(٤) الى سنة ١٢١٣هـ(٥)، وهى تعود الى الحقب التاريخية للعصر المسيحيى

---

(1) Hamad Mohammad Kheir," A contribution to a textual problem", p. 50.

(2) L.P. Kirwan, "The emergence of the united kingdom of Nubia" Sudan Notes and Records,vol. 61, pp.134-139.

(٣) مصطفى محمد مسعد : المكتبة العربية السودانية، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ١١٨.

(4) Adams, W.Y., Nubian corridor to Africa. London 1977, p. 468.

(٥) الشاهد رقم ١٢٧١٠ بمتحف النوبة باسوان.

الكلاسيكى الاول والثانى والعصر المسيحيى المتاخر(١)، وسيتناول البحث علاقة هذه الشواهد الاسلامية فى بلاد النوبة بشواهد قبور جبانات اسوان ومحاولة مقارنة اسماء اصحابها للوصول الى علاقات النسب التى يمكن ان تكون بين اصحابها فى كلا من اسوان والنوبة .

ويتناول هذا البحث مجموعة من شواهد القبور العربية الاسلامية التى تعود الى القرن الثالث الهجرى ببلاد النوبة والتي حفظت بمتحف النوبة منذ عام ١٩٩٧ وكان قد تم استخراجها من حفائر حملات انقاذ اثار النوبة وهى من الحجر الرملى و الجيرى المنقوش بالخط الكوفي اليابس، بطريقته الغائرة والبارزة ، وزينت في نفس الوقت بعض حروف هذه النقوش وحواشيها بعناصر زخرفية رائعة تشكل نماذج فريدة للزخارف الخطية التي شاعت في مصر في الفترة التي يعود إليها تاريخ كتابة هذه المجموعة في القرن الثالث الهجري/ التاسع وأوائل العاشر الميلادي، تلك الفترة التي شهدت تجويد هذا النوع من الخطوط العربية في مصر وخارجها.

ويشمل هذا البحث قراءة النصوص التذكارية التي تعلو بلاطات هذه الشواهد، وكذلك التعليق على أسماء الأشخاص المتوفين، ونسبتهم إلى القبائل أو الأماكن التي كانوا ينتمون إليها في حياتهم، بالإضافة إلى التعليق على أشكال الحروف، ونماذج الكتابة، والزخرفة الخطية، وشكل الإطارات التي تحيط بالشواهد مع مقارنة ذلك بالنماذج الخطية المشابهة والمنشورة في كثير من الدراسات التي تهتم بتوثيق وتطور الخط العربي، ولاسيما تلك التي تتناول شواهد قبور مصرية مماثلة، وتحاول الباحثة جاهدة ان تتبع أسس نشر النقوش الشاهدية وقواعدها التي يسير عليها اليوم معظم دارسي هذا الحقل من الآثار الإسلامية .

ثانيا : شواهد قبور القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى من بلاد النوبة:

عثر على اقدم شواهد قبور اسلامية فى (طافا) التى تقع فى منطقة الامبركاب على بعد حوالى ٤٨ كم جنوب خزان اسوان وتعد مدينة طافا مدينة

(1) Adams, W.Y., Nubian corridor to Africa. London 1977, p. 468.

تاريخية هامة وكان يوجد بها معبدان لم يبقى منهما سوى بقايا معبد واحد بعد ان تهدم المعبد الجنوبى منهما بين عامى ١٨٦٠ و١٨٨٠. ويعود هذا المعبد الباقى الى العصر الرومانى وهو من احسن المعابد التى كانت لاتزال تحتفظ برونقها ، وكانت واجهته تتجه الى الجنوب وبه عمودان بتاجين على هيئة الزهور. وقد وصف ريدر هذا المعبد سنة ١٩١١ ولكن تعرض هذا المعبد لما تعرضت له بقية معابد النوبة من عوادى الزمن وهدم اجزاء منه بسبب عومل الطبيعة والاهمال. ويتكون المعبد من حجرة واحدة بداخلها اربعة اعمدة ذات تيجان زهرية، وقد وجدت جدرانها العليا والاعمدة متساقطة ومتركمة بداخلها ، وقد اقيم المعبد على اساس مكون من خمسة او ستة مداميك بارتفاع يتراوح بين ١,٥ و٢,٥ متر وواجهة المعبد الجنوبية يتوسطها باب يكتنفه عمودان تزينهما تيجان زهرية وقد وجدت الكرانيش المزخرفة بالكوبرا وقرص الشمس المجنح ملقاة على الارض خارج وداخل المعبد. كما عثر على اجزاء من هذه الكرانيش مطمورة فى الطمى. وقد تعرض هذا المعبد للغرق نتيجة ارتفاع منسوب المياه امام خزان اسوان سنة ١٩٦٠ فى شهر يناير نتيجة لتشغيل محطة الكهرباء باقصى طاقتها فتقدمت مصلحة الاثار بالمقايسات التفصيلية لتكاليف نقل هذا المعبد الى جزيرة اسوان وكذلك معبد دابود الذى تعرض للغرق ايضا لنفس السبب . وقد تم تقطيع المعبد ونقله الى جزيرة الفانتين واجراء بعض الترميمات على احجاره. وتم اهدائه الى هولندا وهو الان معروض فى متحف رجكس فى ليدن(١).

وطافا أحد أكثر القُرى التى كانت ذات موقع جميل على النيلِ قبل ان تغرق فى مياه بحيرة السد العالى. في هذه النقطةِ، كانت التلال تَتراجعُ، لتتتَرْك مساحة حوالي كيلومترَين بين التلال والنيل. إلى الجنوبِ توجد صخورِ الصوانِ الرائعةِ لباب كلابشة وإلى الشمالِ والغربِ، تَوجدُ صخورُ الحجر الرملي المنخفضة التى

(1)Z. ŽÁBA, "Tafa and Qertassi; Asswan High Dam Program, Report of Season 1961", *in: Fouilles en Nubie (1959-1961)*, 46-51 (*AEB* 63.0603; Christophe 1977, no. 689), S. FARID, "Brief Report on the Excavations of the Antiquities Department at Tafa (1960)", *ASAE* 61 (1973), 27-30 (*AEB* 73.0223; Christophe 1977, no. 238, no. 300).

تحدد المشهدِ الرائع للبلدة، كان الاسم القديم للمكانِ Taphis، لكنه لَمْ يُوْجَدْ في الشكلِ الهيروغليفيِ، موقعها ذو اهميةِ استراتيجيةِ كبيرةِ، حيث يَقع عند فَمِّ باب أَو مدخل لمنطقة جنادل حيث كان أصلاً هناك جندل. على الضفة الشرقيةِ كان هناك الحصنُ الرومانيُ المواجه ل Taphis ... ولاتوجد هنا اطلال يمكن التاريخ بها لوقت سابق عن الإحتلالِ الرومانيِ. في سنة ٣٠٠ ميلادية، أصبحَت Taphis جزء من مملكةِ البليميين، الذين فَتحَوا المدن الرومانية فى النوبة السفلى؛ لكن في القرن السادسِ، إخترقَ الملك النوبى Silko بقدر ما هذه البلدةِ، وهْزمُ البليميين الذين كانوا ما زالواَ يَعِيشُون هناك(١)، حيث ان سلكو فى نقشه بمعبد كلابشة لم يقطع بانه حقق انتصارا فى حملتيه الاولى والثانية، بل ذكر " لقد جئت إلى تلميس وطافة وحاربت البليميين ثم اعدت عليهم الكرة مرة اخرى ونصرنى الله عليهم فى المرة الثالثة"(٢) وقد عثر ريزنر خلال اعمال الحفائر الاولى التى تمت فى الفترة من ١٩٠٧ الى ١٩١٢ فى النوبة السفلى على جبانة اسلامية كبيرة (٣) .

في العصور التاليةِ، الخرائب المُخْتَلِفة تُحوّلتَ إلى اديرةِ وكنائسِ ومخطوطةِ عربيةِ مبكّرةِ تعطي اسم عام لدير باسم دير Ansoun فى طافا(٤)، وفى طافا كما يذكر الادفوى ان" بحر بن مسلم اشتهر بين الفقراء المسافرين واهل البلاد انه صحابى وهو منتهى زيارة الزائرين بالوجه القبلى يأتون لزيارته من كل مكان ولم ار من ذكره فى الصحابة وهو مدفون بقرية طافا من عمل اسوان فى اخر العمل"(٥).

---

(1) A. FARID, "Qustul, Ballana, Debod, Kalabsha, Amada und Wadi es- Sebu" in: Actes du IIe Symposium International sur la Nubie1981,, pp. 1-6

(٢) مصطفى محمد مسعد : الاسلام والنوبة ، ص ٢٤١-٢٤٢.

(3)George A. Reisner, Archaeological survey of Nubia, Vol. I, Cairo, National Printing Department 1910, p. 299.

(4) A. FARID, "Qustul, Ballana, Debod, Kalabsha, Amada und Wadi es-Sebu ،" '*in: Actes du IIe Symposium International sur la Nubie1981,, pp. 1-6. ,A.* FARID, "Brief Report on the Excavations of the Antiquities Department at Tafa (1960)", *ASAE* 61 (1973), pp. 27-30., G. HAENY, "Tafa, Kalabsha, Wadi es-Sebu', Rock-Inscriptions and Semna South", *in: Actes du IIe Symposium International sur la Nubie1995*, pp. 33-38.

(٥) الادفوى: الطالع السعيد ، ص ٩٠.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية

- ابراهيم جمعة : دراسة فى تطور الكتابات الكوفية على الاحجار فى مصر فى القرون الخمسة الاولى للهجرة ، دار الفكر العربي (بدون).
- ابن الجزرى (محمد بن ابراهيم ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م): تاريخ حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والاعيان من ابنائه، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت.
- الادفوى (كمال الدين جعفر ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) الطالع السعيد بأسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة ٠
- الامام ابى سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى: (ت ٥٦٣هـ ١١٦٦م) الانساب ج ٤، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العمانية بحيدر اباد الكن الهند ١٩٧٧م.
- حسن الباشا : موسوعة العمارة والاثار والفنون الاسلامية ، مج ٣ ، ط١، بيروت ١٩٩٩.
- سمر نجار محمد على : دراسة لمجموعة شواهد قبور عثمانية بمدينة الجزائر : دراسة فى المضمون، جامعة عين شمس ، المؤتمر الدولى السادس، مج٣، ٢٠١٥.
- الشاهد رقم ١٢٧١٠ بمتحف النوبة باسوان.
- الفاسى(محمد بن احمد ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م) : العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين ، ج١، تحقيق فؤاد سيد محمد حامد الفقى و محمد الطناحى، مكتبة السنة المحمدية ، ص ٤٢٣، ج٥.
- فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية عصر الولاة، المجلد الاول، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤.

- محمد عبدالستار عثمان: "اضواء جديدة على الكتابة فى الاثار الاسلامية "طرق تنفيذها واساليب تشكيلها " ، مجلة مقاليد، مجلة فصلية ثقافية تصدر عن الملحقية الثقافية السعودية فى فرنسا ، العدد ٦، سبتمبر ٢٠١٣.

-محمد فهد عبدالله الفعر: تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز ١٩٨٠.

-مصطفى محمد مسعد : المكتبة العربية السودانية، القاهرة ١٩٧٢.

-المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار،ج١ طبعة بولاق ١٢٧٠هـ.

-المقريزي: الخطط، ج١ ،طبعة بولاق ، وكذا المسعودي مروج الذهب ج٣ طبعة باريس ١٨٦١-١٨٧٧.

-يحيى وهيب الجبورى: الخط والكتابة فى الحضارة العربية، ط١، دار الغرب الاسلامى ١٩٩٤.

-يسرى زيدان: الاهمية التاريخية لشواهد قبور المعلاة بمكة المكرمة عصر سلاطين المماليك.

ثانيا : المصادر و المراجع الاجنبية

- A. FARID, "Brief Report on the Excavations of the Antiquities Department at Tafa (1960)", ASAE 61 (1973).

- A. FARID, "Qustul, Ballana, Debod, Kalabsha, Amada und Wadi es-Sebu ،" 'in: Actes du IIe Symposium International sur la Nubie1981.

- Abd Ar-Rahman M. Abd Al-Tawab, Stèles Islamiques de la Nécropole d'Assouan, 3tomes, Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire 1977, 1982, 1986

- Adams, W.Y., Nubian corridor to Africa. London 1977.

- AEB 63.0488; Christophe 1977, no. 570), H. STOCK, "Excavations at Amada (Second Season, Spring 1960)", in:Fouilles en Nubie (1959-1961).

- G. HAENY, "Tafa, Kalabsha, Wadi es-Sebu', Rock-Inscriptions and Semna South", in: Actes du IIe Symposium International sur la Nubie1995.

- H. STOCK, "Excavations at Amada (First Season, Spring 1959)", in:Fouilles en Nubie (1959-1961).

- Hamad Mohammad Kheir," A contribution to a textual problem".

- Hassan Mohammed El-Hawary, "The Second Oldest Islamic Monument Known, Dated A.H. 71(A.D. 691). From the Time of the Omayyad Calif 'Abd-el-Malik ibn Marwan," Journal of the Royal Asiatic Society (JRAS) 1932 (no. 2), 289–93.
- L.P. Kirwan, "The emergence of the united kingdom of Nubia" Sudan Notes and Records,vol. 61.
- Madeleine Schneider: Steles funeraires musulmanes des iles Dahlak, (Mer Rouge) Institut Francais d Archéologie Orientale du Caire, Tome I, 1983.
- Max Van Berchem, Matériaux pour un corpus inscripitionum Arabicanum, première partie. Égypte. Fascicule premier, MIFAO, t. XIX, Paris, 1894, (Mémoires de institut français d'Archéologie Orientale), E. Combe, I. Sauvage et G. Wiet, Répertoire Chronologique d'Epigraphic Arabe, Stèles funéraires (Catalogue générale du Musee Arabe)
- P.L.Shinnie ,Medieval Nubia, Sudan Antiquities service, Khartom 1954.
- S. FARID, "Brief Report on the Excavations of the Antiquities Department at Tafa (1960)", ASAE 61 (1973), 27-30 (AEB 73.0223; Christophe 1977, no. 238, no. 300)
- Save-Soderbergh, T., Late Nubian cemeteries, SJE Vol. 6, Sweden 1982.
- Z. ŽÁBA, "Tafa and Qertassi; Asswan High Dam Program, Report of Season 1961", in: Fouilles en Nubie (1959-1961), 46-51 (AEB 63.0603; Christophe 1977, no. 689).